

تفسير ابن كثير

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ^ج كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ^ج
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ، وقد روي عن ابن عباس ، ومجاهد ،
وسعيد بن جبیر ، وطائفة من السلف في ذلك ما ذكره ابن جرير وغيره ، والله أعلم . وقال
بعضهم : المراد بهم بها هم خطرات حديث النفس . حكاه البغوي عن بعض أهل
التحقيق ، ثم أورد البغوي هاهنا حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي
هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " يقول الله تعالى :
إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، وإن هم
بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإنما تركها من جرائي ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها "
وهذا الحديث منخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة ، هذا منها . وقيل : هم بضربها .
وقيل : تمنأها زوجة . وقيل : (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أي : فلم يههم بها . وفي
هذا القول نظر من حيث العربية ، ذكره ابن جرير وغيره . وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال

أيضا : فعن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ،
وقتادة ، وأبي صالح ، والضحاك ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم : رأى صورة أبيه يعقوب
، عليه السلام ، عاضا على أصبعه بفمه . وقيل عنه في رواية : فضرب في صدر يوسف
 . وقال العوفي ، عن ابن عباس : رأى خيال الملك ، يعني : سيده ، وكذا قال محمد بن
إسحاق ، فيما حكاه عن بعضهم : إنما هو خيال إطفير سيده ، حين دنا من الباب . وقال
ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن أبي مودود سمعت من محمد بن كعب
القرظي قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب في حائط البيت : (ولا
تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) [الإسراء : 32] وكذا رواه أبو معشر المدني ،
عن محمد بن كعب . وقال عبد الله بن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن أبي صخر قال
: سمعت القرظي يقول في : " البرهان " الذي رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله (
إن عليكم لحافظين) الآية [الانفطار : 10] ، وقوله : (وما تكون في شأن) الآية : [
يونس : 61] ، وقوله : (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) [الرعد : 33] قال
نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة (ولا تقربوا الزنا) [

الإسراء : 32] وقال الأوزاعي : رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك . قال ابن جرير : والصواب أن يقال : إنه رأى من آيات الله ما زجره عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب ، وجائز أن يكون [صورة] الملك ، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبا من الزجر عن ذلك . ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى . قال : وقوله : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) أي : كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه ، كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره . (إنه من عبادنا المخلصين) أي : من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار ، صلوات الله وسلامه عليه .